

تفسير البحر المحيط

@ 53 الفعل للمفعول ، وحذف الفاعل ، وهو جبريل عليه السلام ، للدلالة عليه في قوله :
{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } . ولقي يتعدى إلى واحد ، والتضعيف فيه للتعدية ،
فيعدى به إلى اثنين ، وكأنه كان غائباً عنه فلقبه فتلقاه . قال ابن عطية : ومعناه يعطي
، كما قال : { وَمَا يُدَلِّقُهَاهَا إِلَّا لَاسَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } . وقال الحسن : المعنى وإنك
لتقبل القرآن . وقيل : معناه تلقن . والحكمة : العلم بالأمور العملية ، والعلم أعم منه
، لأنه يكون عملياً ونظرياً ، وكمال العلم : تعلقه بكل المعلومات وبقاؤه مصوناً عن كل
التغيرات ، ولا يكون ذلك إلا □ تعالى . وهذه الآية تمهيد لما يخبر به من المغيبات وبيان
قصص الأمم الخالية ، مما يدل على تلقيه ذلك من جهة □ ، وإعلامه بلطيف حكمته دقيق علمه
تعالى . قيل : وانتصب { إِذْ } باذكر مضمرة ، أو بعليم ؛ وليس انتصابه بعليم واضحاً ،
إذ يصير الوصف مقيداً بالمعمول .

وقد تقدم طرف من قصة موسى عليه السلام في رحلته بأهله من مدين : في سورة طه ، وظاهر
أهله جمع لقوله : { سَاءَاتٍ تَبْكُمُ } و { تَمْطَلُونَ } ، وروي أنه لم يكن معه غير
امراته . وقيل : كانت ولدت له ، وهو عند شعيب ، ولداً ، فكان مع أمه . فإن صح هذا
النقل ، كان من باب خطاب الجمع على سبيل الإكرام والتعظيم . وكان الطريق قد اشتبه عليه
، والوقت بارد ، والسير في ليل ، فتشوقت نفسه ، إذ رأى النار إلى زوال ما لحق من إضلال
الطريق وشدة البرد فقال : { إِذْ قَالَ * بِخَيْرٍ } : أي من موقدها بخبر يدل على
الطريق ، { إِذْ قَالَ مُوسَى لَاهْلِهِ } : أي إن لم يكن هناك من يخبر ، فإني أستصحب
ما تدفؤون به منها . وهذا الترديد بأو ظاهر ، لأنه كان مطلوبه أولاً أن يلقي على النار
من يخبره بالطريق ، فإنه مسافر ليس بمقيم . فإن لم يكن أحد ، فهو مقيم ، فيحتاجون لدفع
ضرر البرد ، وهو أن يأتيهم بما يمتطلون ، فليس محتاجاً للشئيين معاً ، بل لأحدهما الخبر
إن وجد من يخبره فيرجل ، أو الاصطلاء إن لم يجد وأقام . فمقصوده إما هداية الطريق ، وإما
اقتباس النار ، وهو معنى قوله : { لَسَّ عَلَيَّ اتَّيْكُمُ مِّنْهَا بِرَقَابِيسٍ أَوْ أَجْدُ
عَلَيَّ النَّارِ هُدًى } .

وجاء هنا : { إِذْ قَالَ مُوسَى } ، وهو خير ، وفي طه : { لَسَّ عَلَيَّ اتَّيْكُمُ }
مِّنْهَا بِرَقَابِيسٍ } ، وفي القصص : { فَلَمَّ سَا قَضَىٰ مُوسَىٰ * بِرَخَائِرٍ } ، وهو ترج ،
ومعنى الترجي مخالف لمعنى الخبر . ولكن الرجاء إذا قوي ، جاز للراجي أن يخبر بذلك ،
وإن كانت الخيبة يجوز أن تقع . وأتى بسين الاستقبال ، إما لأن المسافة كانت بعيدة ، وإما

لأنه قد يمكن أن تبطء لما قدر أنه قد يعرض له ما يبطنه . والشهاب : الشعلة ، والقبس : النار المقبوسة ، فعل بمعنى مفعول ، وهو القطعة من النار في عود أو غيره ، وتقدم ذلك في طه . وقرأ الكوفيون : بشهاب منوناً ، فقبس يدل أو صفة ، لأنه بمعنى المقبوس . وقرأ باقي السبعة : بالإضافة ، وهي قراءة الحسن . قال الزمخشري : أضاف الشهاب إلى القبس ، ، واتبع في ذلك أبا الحسن . قال أبو الحسن : الإضافة أجود وأكثر في القراءة ، كما تقول : دار آجر ، وسوار ذهب . والظاهر أن الضمير في { جَاءَهُآ } عائد على النار ، وقيل : على الشجرة ، وكان قد رآها في شجرة سمر . وقيل : عليق ، وهي لا تحرقها ، كلما قرب منها بعدت . و { نُودِيَ } المفعول الذي لم يسم فاعله ، الظاهر أنه ضمير عائد على موسى عليه السلام . و { ءَانِ } على هذا يجوز أن تكون مفسرة لوجود شرط المفسرة فيها ، ويجوز أن تكون مصدرية . أما الثنائية التي تنصب المضارع ، وبورك صلة لها ، والأصل حرف الجر ، أي بأن بورك ، وبورك خبر . وأما المخففة من الثقيلة فأصلها حرف الجر . وقال الزمخشري : فإن قلت : هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة ، وتقديره بأنه بورك ، والضمير ضمير الشأن والقصة ؟ قلت : لا ، لأنه لا بد من قد . فإن قلت : فعلى إضمارها ؟ قلت : لا يصح ، لأنها علامة ولا تحذف . انتهى . ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة ، وبورك فعل دعاء ، كما تقول : بارك ا□ فيك . وإذا كان دعاء ، لم يجز دخول قد عليه ، فيكون كقوله تعالى : { وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّاهِ عَلَيْهِآ } في قراءة من جعله فعلاً ماضياً ، وكقول العرب : إما أن جزاك ا□ خيراً ، وإما أن يغفر ا□ لك ، وكان الزمخشري بنى ذلك على { أَنْ يُورِكَ } خبر لا دعاء ، فلذلك لم يجز أن تكون مخففة من الثقيلة ، وأجاز